النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الثورة الاشتراكية العالمية

ـ من مكتب « الاداب » في القاهرة ـ

* * *

انتعشت الحركة الفكرية الاشتراكية أخيرا انتعاشا واضحا ملموسا ، وأصبحت الصحف تتحدث كثيرا عن الاشتراكية ، وصدرت كتب عديدة عن الاشتراكية ، ولكن القليل من هذا الانتاج هو ما يصدر عن فكر اشتراكي نظري عميق ، وان كان هذا النشاط في حد ذاته هو حركة تستحق التقدير ، وتنبىء بمستقبل باهر للفكر الاشتراكي في الجمهورية العربية .

وهناك ظاهرة رئيسية تطبع التفكير الاشتراكي في بلادنا ، هو انه تفكير مستقل يراعي تجربتنا الخاصة ، وظروفنا العربية المستقلة .

ومن ألمع الدراسات الاشتراكية التي ظهرت أخيرا كتاب عن «الثورة الاشتراكية العالمية » للاستاذ عبد الرحمن شاكر . وقد أثار هذا الكتاب مناقشات كثيرة ، ولفت انظار المثقفين، ويعتبر الكتاب نموذجا لمجهود فكري كبير يتجاوب مع الظروف الثورية التى تعيش فيها الجمهورية العربية .

ويحاول هذا الكتاب ان يحدد الخطوط الرئيسية للوضع التاريخي المعاصر واحتمالات تطوره في المستقبل وامكانيات التأثير فيها لصالح الجماعة الانسانية بصفة عامة .

وتقوم فكرة الكتاب على اساس وصف الوضع العالمي المعاصر بانه « مرحلة انتصار الثورة الاشتراكية العالمية » .

وهو يبدأ باستعراض الافكار القديمة عن تلك الثورة قبل بدئها واثناء تحقيقها ، ويحاول الفصل الاول ان يحسم المشكلة القديمة حول ما اذا كان التطور الاشتراكي نتيجة محتمة لقيام الراسمالية ام لا، على اساس ان الاشتراكية هي فعلا المآل الحتمى لنمو الراسمالية ، ولكنها تتحقق فى الكيان العالمي الذي اوجدته الراسمالية ، على صورة تغيير شامل في هذا الكيان ، بغض النظر عن اختلاف درجة النمو الراسمالي فى مختلف البلدان . فهو يقرر ان قيام الثورة الاشتراكية العالمية ، كان نتيجة للنمو العالمي للرأسمالية، الذي يصطحب معه نمو تيار عالمي مضاد ، يسعى لتحقيق الاشتراكية.

اما عن انتصار الثورة الاشتراكية العالمية فقد خالف تحقيق ذلك تصورات مختلف الدوائر الاشتراكية المعاصرة مثل ما خالف بدؤها تصور القديمة منها . وهو يصطدم مباشرة بتصور الشيوعيين ان انتصار الثورة الاشتراكية العالمية معناه ان يسود العالم نظام شبيه بالنظام القائم فى الاتحاد السوفياتى او بلدان المعسكر الاشتراكي فانتصار الثورة الاشتراكية العالمية طبقا للتحليل الذي اورده الكتاب يستغرق معناه تماما الوضع العالمي المعاصر ، الذي تقوم فيه ثلاث حقائق رئيسية :

اولها : هو قيام المعسكر الاشتراكي كقوة فعالة قادرة على صد محاولات القضاء عليه من الدوائر الامبريالية .

الثاني : انهيار النظام الاستعماري العالمي للامبريالية نتيجة لسلسلة الثورات الوطنية والحركات التحريرية في المستعمرات .

الثالث : تفوق الفكر الاشتراكي وغلبته الواضحة على الفكر البرجوازي الذى لا يأبه كثيرا لمسالة العدالة الاجتماعية .

فالوضع العالمي الذي تقوم فيه هذه الحقائق من شانه ان يجعل قصارى التغيير الاشتراكي الذي تمنى عالم الراسمالية ، هو قيام العلاقات الاشتراكية المطلقة في جانب فقط من العالم ، مع نشاط تيارات الاصلاح الاشتراكي باقدار متفاوتة في بقيته ، في البلاد الحديثة النمو والبلاد الراسمالية المتقدمة على السواء . في هاتين المجموعتين الاخيرتين من البلاد ، لا نحتاج الاشتراكية الى الغلو الذي اتسمت به الثورات الاشتراكية في بلاد المعسكر الاشتراكي ،بالتزام القضاء على كافة اشكال الملكية الفردية لوسائل الانتاج مهما كانت صغيرة . وانما تلتزم الاشتراكية فقط بالقضاء على الاوضاع الفاسدة للملكية الفردية ، وتعمد الى التخلص من اشد صورها تفاقما متمثلة اساسا من الاحتكارية وشبه الاحتكارية

اما الملكية الفردية الصغيرة التي لا تزال تلعب دورا ايجابيا فى النمو الاقتصادي ولا تشكل خطرا على مفهوم العدالة الاجتماعية، فلا داعي البتة للقضاء عليها . بل ان ذلك امر يتفق مع الاشتراكية العالمية اكثر من غيره ، فالاشتراكية العالمية تقرر ان التحول الاشتراكي هو نتيجة النمو الراسمالي وليس مجرد قيام الملكية الصغيرة .

على ذلك ، عند هذا الحد يعتبر ان انتصار الثورة الاشتراكية العالمية قد تحقق ، ان التغيير الاشتراكي فى العالم قد استنبت جذوره حيث اصبحت الاشتراكية ـ على حد تعبير اليوغوسلافيين ـ امرا تمارسه كل الشعوب ، كل منها طبقا لظروفها التاريخية . ولا داعي البتة لمحاولة حمل احد البلاد على اتخاذ طريق اخر لمجرد اسبقيته .

ثم ان جنوح الاشتراكية فى المرحلة السابقة الى القضاء تماما على الملكية الفردية ، كان نتيجة لانها كانت اولى البلاد التى تتحقق فيها الاشتراكية . كانت الثورة الروسية هي قاعدة الثورة الاشتراكية فى وجه المقاومة الراسمالية الضاربة ومحاولات القضاء على الثورة فى مهدها . هذه الغلواء كانت ضرورة لمواجهة هذا العدوان وحماية مبادىء الاشتراكية الوليدة . اما فى الوضع الحالي بعد تقلص سلطان الامبريالية عن معظم بلاد العالم ، فلا تحتاج الاشتراكية الى ان تقيم طغيانها فى مواجهة طغيان الملكية الفردية كما حدث فى الاتحاد السوفياتى مثلا .

وفي الفصل الثاني يعطى الكتاب صورة ما سماه بالطغيان الثوري للثورة الروسية . ويبين ان تلك المسألة بالذات ، الاصرار على سحق الملكية الفردية الصغيرة ممثلة اساسا فى الملكيات الزراعية الصغيرة ، وتطبيق نظام المزارع الجماعية بشكل اجباري ، كان هو الاساس المادي للظاهرة الستالينية . وهو يرفض تماما التفسير غير العلمي الذي قدمه البلاشفة لتلك الظاهرة ، حينما اقتصروا من ادانتهم لعصر ستالين على وصفه أنه خطأ فرد ذي شهوة الى السلطان ، او جماعة الحزب التي استسلمت لعبادة الفرد . ان هذا التفسير يحاول ان يرفع التبعة عن النظام الذي افرز ذلك الوضع، والمبادىء التي املت على ستالين ان يقوم بما قام به . ومن اخر الكتاب يرد علينا استشهاد بكلام من جومولكا قاله اخيرا يؤيد تماما ما ذهب اليه الكتاب

الطغيان الستاليني كان نتيجة لتلك السياسة ازاء الملكية الفردية الصغيرة ، وتحولت فيها ديكتاتورية البروليتاريا الى اتوقراطية فردية لانها كانت تصطدم باغلبية الشعب من الفلاحين، وفقدت بذلك كل روح ديموقراطية ، في المجتمع والدولة بل والحزب الثوري نفسه، واشبهت في ذلك الثورة الفرنسية تماما ، حينما الجأها تدخل الدول الاقطاعية الى اقامة الارهاب الثوري حتى شمل صفوف الثوار انفسهم .

لم يقدس شخص ستالين الا لان اللينينية قدست فيه ، لم يكن ستالين الا المنفذ القدير لتعاليم لينين التى لم يعش لينفذها بنفسه. تلك هي عقدة موضوع ستالين التى يدور حولها الشيوعيون ولا يجدون حلها لانهم لا يزالون اسارى مذهب لينين ، لا يزالون يحتفظون بروح القداسة التي حولوا قبلتها الى ضريح لينين ومذهبه

لكي توضع قضية ستالين فى موضعها الصحيح ، ينبغي ان يرفع الاستنكار الذاتي لفظائع ستالين الى مستوى الوعي النظري ، الوعي بان تلك مرحلة من التاريخ قد طويت ، وطويت معها صفحة المذهب الذي نشأ معها . لم ينته عصر ستالين فحسب وانما انتهى عصر اللينينية . لقد كانت اللينينية هي الماركسية في عصر الامبريالية وانجاز الاشتراكية العالمية ، فقد ادت اللينينية دورها التاريخي وحان ان تغادر مسرح التاريخ لتفسحه لمرحلة جديدة من الفكر الاشتراكي . ومن اول الفصل الخامس يورد الكتاب ثلاثة عشر بندا تحتوي على الافكار الرئيسية اللينينية ، التي اثبت الوضع الحالي تقادمها ، وعجزها عن ان تغير التطور التاريخي بل يعتبر التمسك بها عبئا عليه .

لقد انتصرت الثورة الاشتراكية العالمية ، فما هي المرحلة التاريخية الجديدة وما هي نظريتها ؟ المرحلة الجديدة هي مرحلة انجاز مهام الثورة المنتصرة .

والمهمة الاولى للثورة المنتصرة ـ طبقا للعلم الاجتماعي ـ هي تنمية قوى الانتاج لاقصى حد ممكن . فالثورات الاجتماعية هي تغييرات جذرية في علاقات الانتاج الاجتماعية بعد ان تتقادم وتصبح عبئا على نمو قوى الانتاج واستبدالها بعلاقات انتاجية جديدة تسمح لتلك القوى بمواصلة نموها . وفي الوضع العالمي المعاصر اصبح دافع التطور الرئيسي ليس هو المزيد من تغيير علاقات الانتاج وانما هو النمو الهائل في قوى الانتاج . ويتمثل هذا النمو حاليا في التقدم الاقتصادي السريع الذي تحققه بلاد المعسكر الاشتراكي والبلاد الحديثة النمو ، كما ان الخطوة الرئيسية فيه هي الثورة الصناعية الثانية التى يترقبها العالم نتيجة لاستخدام الطاقة الذرية في الصناعة وتطبيق نظام الاتوميش على نطاق واسع.

اذن فمسؤولية الحريصين على تقدم الجماعة الانسانية ، والنظرية التي ينبغي ان توجههم هي الوعي بان نمو القوى الانتاجية هي دافع التطور الرئيسي في المرحلة الحالية من التطور التاريخي . عليهم ان يتخذوا موقفهم من جميع القضايا من هذه الزاوية ، وان ينسقوا خطواتهم الاجتماعية ومواقفهم السياسية معها . لن يختفي التغيير في العلاقات الاجتماعية تماما من تلك المرحلة ولكن ينبغي ان يتم وفقا لاحتياجات ذلك الغرض الرئيسي وبقدر ما يتطلبه . والنمو في القوى الانتاجية يتطلب من هذه المرحلة التهادن الطبقي بين النوعين المتعاصرين من العلاقات الانتاجية ، بين الملكية العامة والملكية الفردية التي تقوم بدور ايجابي في الاقتصاد القومي والعالمي ، والموقف الثوري من الملكية الفردية ينبغي ان يقتصر حاليا على الاوضاع التي تعوق هذا التقدم مثل الاحتكار وبقايا العلاقات الاقطاعية القديمة. هذه العلاقات ينبغي تصفيتها بمعارك طبقية ، تقوم على اساس كسب الملكية الفردية الصغيرة الى صف الاشتراكية ، وليس اكتساب عداوتها بالسعي لاقامة ديكتاتورية البروليتاريا وشن الصراع الطبقي حتى على الملكية الصغيرة .

ولكي يتحقق هذا الهدف على نمو عالي ، ينبغي ان يتخلى الشيوعيون عن فكرتي ديكتاتورية البروليتاريا ، والتزام القضاء على الملكية الفردية مهما كانت صغيرة ، ينبغي ان يتخلوا عن كل ما بشرت به اللينينية ، ويعترفوا بان الاشتراكية الديموقراطية التي عادوها طويلا قد حان الوقت لتكون هي وريثة مذهبهم في تحقيق التطور الاجتماعي . انهم في ظل ازمتهم النظرية الحالية وبلبلتهم الفكرية يكشفون تماما عن انهيار الرابطة المذهبية التي كانت تجمعهم . وليس لهم مخرج منها الا بالاعتراف بان لكل بلد طريقه المستقل الى الاشتراكية ، هذا هو مغزى انتصار الثورة العالمية ، وليس خضوع الجميع لنظام واحد وتفكير جامع . عليهم ان يعودوا من كل بلد الى اوضاعها المحلية وتعبيراتها الخاصة عن حاجتها الى العدالة الاجتماعية ، بدلا من السعي لفرض صورة التجربة الروسية عليها . وقد تبين ان الطريق التدريجي الديموقراطي في تحقيق الاشتراكية هو ما ينتظر بقية العالم ان يسعوا ليكونوا جزءا من هذا الاتجاه وليس عدوا له . حقيقة لقد لعبت الاشتراكية الديموقراطية في البلاد الرأسمالية المتقدمة دورا ذليلا للامبريالية افقدها معظم ملامحها الاشتراكية ، ولكن على الشيوعيين ان يدركوا ان موقفهم من الديموقراطية والملكية الفردية الصغيرة كان له دور كبير في دفع الاشتراكية الديموقراطية الى احضان الامبريالية . ولكن تخليهم عن هذين الموقفين يمكن ان ينتزع جماهير تلك الاحزاب من سيطرة النفوذ الامبريالي ، وبعودة الشيوعيين الى الديموقراطية يمكن ان يعود الاشتراكيون الديموقراطيون الى الاشتراكية . ويلتقي الجميع على صعيد واحد . اطاره العالمي هو استقلال كل بلد بطريقها للاشتراكية وانتفاء تبعيتها لاي مجتمع اخر في الروابط السياسية والتطور الاجتماعي ، ومحتواه الداخلي هو تحقيق الاشتراكية على اساس الرغبات الحقيقية للجماهير ، وطبقا لدرجة وعيها والنضج الاقتصادي في مجتمعها .

لو وعى الشيوعيون ذلك فمن الممكن ان تتحقق تغييرات واسعة في الاوضاع المعاصرة عالميا ودوليا . فبزوال فكرة خطر الشيوعية على الديموقراطية سينتفي الذعر الذي يسود الجماهير في العالم الرأسمالي ويمكن الامبريالية في بلادها من السيطرة عليها ، ودفعها في سباق التسلح واقامة الاحلاف والقواعد العسكرية . كما ان تحقيق وحدة الاحزاب الشيوعية والاشتراكية على اساس الاشتراكية الديموقراطية ـ وهي دعوة نادى بها المؤتمر العشرون للحزب البلشفي وفشل في تحقيقها لانعدام الوعي باسسها الصحيحة ـ هذه الوحدة سوف تتيح الفرصة لقيام حكومات اشتراكية في معظم بلاد اوروبا الغربية التي تشكل فيها تلك الاحزاب اغلبية برلمانية ، ولكن انقسامها يتيح الفرصة للامبريالية للاحتفاظ لنفسها بالسلطان .

فاذا ما تحقق ذلك وساد نتيجة له ضرب من التفاهم العالمي، فان توقف الانفاق الضخم على التسلح سوف يمثل رصيدا هائلا من فائض القيمة الذي يسمح برفع مستوى معيشة الجماهير الى درجة كبيرة ، ويعجل بتطور المجتمعات الى الاشتراكية . وربما شهد المجتمع الاميركي ـ قلعة الاحتكارية ـ اوسع تلك التغييرات نطاقا وابعدها عمقا .

ان تحقيق التهادن العالمي ، ووقف حمى التسلح هو المهمة المباشرة للثورة العالمية المنتصرة . فاحتمال الحرب كارثة تفوق كل المفاسد التي سعت الاشتراكية لتغييرها ، وبدون قيام الحرب فاصدار هذا القسط من القوى الانتاجية على التسلح يعوق الى اقصى حد مهمتها الرئيسية في النمو بقوى الانتاج وانجاز الثورة الصناعية الثانية

اما عن علاقة هذا البحث بتجربتنا الاشتراكية ، فهو ان طريقنا المستقل قد اثبت توطده وازدهاره في مقابل العجز الكامل للماركسيين عن ان يحققوا شيئا من ذلك ، بل كان جمودهم المذهبي معاكسا لاحتياجات التطور وجعلهم قوة رجعية تلعب على ايدى الاستعمار والرجعية ، ثم ان الخطوط العامة لهذا البحث سواء في القضايا العالمية او النهج الاشتراكي هي التعميم النظري للسياسة التي تسير عليها بلادنا وتطبقها فعلا . ومن جهة اخرى فان الذي يرفع اتجاهاتنا الفكرية الى مستوى النظرية هو مدارسة قضايا الاشتراكية بصفتها العامة العالمية ، وتحديد موقف واضح من مختلف مشاكلها المذهبية والسياسية ، ذلك ما يجعل «نظرتنا» تكتسب صفة «النظرية».

تزييف الواقع

* * *

تحت عنوان من «الشعر اليمني الحديث» نشرت صحيفة «الثورة» اليمنية في عددها السابع عشر بتاريخ السابع من « ابريل » مقالا عن « أدب اليمن المعاصر » .. وعن الشعر الحديث بوجه خاص وعن بعض الشعراء الناشئين بوجه أخص .. وفي نفس المقال هجوم شديد على كاتب هذه السطور فيها حقد ومغالطات لا تمت الى الحقيقة مطلقا .. أما سبب الهجوم فهو مقال صغير كنت قد كتبته في « الآداب » بتاريخ شباط الماضي لخصت فيه ما أعرفه عن واقع المحنة .. واقع الجدب الفكري الادبي الذي تعانيه اليمن العربية نتيجة الانغلاق الذي فرض أئمة العفن والفساد .. ورغم أن الصحيفة سامت في البداية بوجود محنة « العدم » الا أنها سرعان ما انهالت علي بسطور كلها حقد .. وتركيز .. ! ففي بداية مقال الصحيفة تقول بالحرف الواحد :

« ضرب الحكم الرجعي الاقطاعي في شمال اليمن ستارا حديديا على الفكر والعقل وشوه ابداع شعبنا بحرمان جماهيرنا من الكلمة المكتوبة الشريفة مما أدى الى تخلف فكري سحيق وعزل اليمن كله عن العالم المتقدم الخ » .

وبعد سطور قليلة تعود الصحيفة المذكورة الى مناقضة نفسها عندما تنفي عن اليمن حالة العدم الموجود حتى هذه الآونة .. ثم تقول عني بالحرف الواحد :

« فقبل شهرين كتب أحد اليمنيين المدعو « الزرقة » مقالا في مجلة « الآداب » البيروتية بلغة المترف الجاهل بـ « أن شعب اليمن لم « يبدع » و « أن ثمة محاولات فاشلة في الشعر على يد الزبيري وعبدالله سلام لم تنجح وأن القصة القصيرة بدأت في الصحف العدنية منذ الصيف الماضي وأنها ركيكة .. الخ » ثم تساءلت الصحيفة – وهي على حق – فيما اذا كان « هذا الزرقة يمنيا أم لا .؟! » كما تساءلت أيضا اذا كان ثمة يمني « يعرف القراءة والكتابة يتمتع بهذا القدر من الجهل » وفي نفس الوقت امتدحت الصحيفة مجلة « الآداب » لانها ردت علي بمقالة عن الشاعر الشهيد زيد الموشكي . والى جوار هجوم الصحيفة المذكورة تلقيت هجوما آخر.. من رابطة الطلاب اليمنيين ببراغ لنفس السبب .. كما اذاعت محطة اذاعة صنعاء في ركنها الادبي هجوما من نفس النوع .. على لسان المشرف على الركن الادبي « حسين جعفر » .. وكلهم قد أزعجهم أن أقول « يمننا العربي يجابه أقسى محنة .. هي محنة العدم الفكري والعدم الادبي »..

اما المغالطات التي حواها مقال الصحيفة فهي من ضمن ما قيل لان تشويه أي حقيقة وتزييفها هي جريمة لا في حق الادب الاقليمي لليمن العربي .. بل في حق أدبنا العربي كله .. والذين يغالطون ويزيفون الواقع هم دائما أصحاب العقول الراكدة الذين يؤمنون بأن « ليس في الامكان أبدع مما كان » .. بل هم عملاء الافكار الاخرى مجرد ذيول واتباع للفكر الماركسي .. وليست هذه مجرد « فرية » أرد بها على الصحيفة المذكورة جريا على القاعدة التي تستعملها الرجعية الفكرية الموجودة في مصر عندما تحارب شبابها العربي الثوري .. بل هي الحقيقة نفسها .. لاسباب أهمها ..

أن الصحيفة عندما أرادت أن تؤكد ابداع شعبنا في مجالات الفكر لم تجد من تستشهد به سوى حثالات من شعراء اليسار الاميين الذين يطرقون أبواب المجلات الهزيلة أمثال الشاعر الناشيء عبده عثمان والذي يتزلف اليوم الى مجموع القادة يمتدح أعمالهم جريا وراء منصب أسوة برفاقه الاميين الذين يشيعون الفوضى في أنحاء ارضنا العربية.

ولم تجد الصحيفة دليلا واحدا على أن القصة القصيرة ظهرت في الصحف العدنية في جنوبنا المحتل تعبيرا عن آلام الملايين في شطري اليمن .. وقبلها لم توجد ثمة قصة واحدة .. لا قصيرة ولا طويلة . كقصة بمعناها الشائع ..

وعندما حاولت الصحيفة المذكورة تأكيد عبقرية شاعرها الناشيء عبده عثمان قالت عنه انه تخرج من المدارس الاكثر نضجا وهي مدارس « الجواهري » في المدرسة الواقعية النقدية » ومدرسة البياتي كما تأثروا و شاركوا « شعراء اليمن » في احياء الشعر العربي الحديث مع البياتي وشوقي بغدادي وكمال عبد الحليم .. وهكذا كانت العملية مكشوفة .. فالصحيفة المذكورة لم تجد مدرسة تأثر بها شعراء اليمن سوى مدرسة هؤلاء الشعراء اليساريين وهي هنا تقصد بشعراء اليمن – طبعا – حثالات الفكر الماركسي الذين يشيعون روح الدمار والهلاك لابناء الامة العربية المناضلة .. والصحيفة حينما تتحدث عن الجواهري والبياتي وشوقي وتأثر عبده عثمان بهم كأنما تقول لشعب اليمن أو لمثقفيه وتوهمهم بأن تلك القائمة من الشعراء هي أحسن قائمة للشعراء في الوطن العربي ..

فالعملية تصبح مكشوفة لا لشيء .. الا لان الصحيفة تدلل « على غير وعي منها » بوجود حالة التخلف في اليمن .. فهي تقف من الشعب ومن طلائع المثقفين موقف الدجال .. تستعرض أمامهم ألفاظا طنانة « كالمدرسة النقدية – الرومانسية – الامبريالية » .. مع أن المسألة بوضوح تفضح مسلك الصحيفة وتفضح مراميها ونواياها الخبيثة وهي تغرس بذور الشر والحقد في أرض اليمن العربية ...

الصحيفة عندها عباقرة الشعر هم الجواهري والبياتي وشوقي فحسب ..! والمسألة لم تعد بحاجة الى دليل يدمغ اتجاه الصحيفة او كاتب المقال على الصعيدين الحكومي والشعبي .. بل وعلى كل صعيد.. ان خطورة هؤلاء ليست في أنهم مجرد حثالات للفكر الماركسي .. أو مجرد ذيول وأتباع بل تكمن الخطورة في أنهم يغرسون أفكار الحقد والدمار في أخصب أرض عربية .. يسودها الجهل والجوع ومخلفات العفن الامامي الثقيل ولست هنا في مجال التهرب من « تهم » ألقتها الصحيفة على رأسي في حقد وتساؤل مرير .. فالاجابة والتدليل على وجود حالة العدم الفكري الموجود في اليمن يمكن أن يلخص فيما يلي :

١ – لم تنجب المكتبة اليمنية حتى الآن – قصة طويلة واحدة – ولا حتى كتابا واحدا يضم مجموعة قصص وكل ما هنالك شظايا قصص تتناثر هنا وهناك .. مجرد محاولات .

٢ – أغلب دواوين الشعر التي صدرت منذ حكمت أسرة بيت « حميد الدين اليمن حتى اليوم لا يزيد مجموعها عن خمسين كتابا ..!!»

صدر اليوم

دار الطليعة – ص.ب ١٨١٣

نضال البعث

في سبيل

الوحدة الحرية الاشتراكية

١٩٤٣ – ١٩٤٩

من معركة الاستقلال الى نكبة فلسطين والانقلاب العسكري الاول

وثائق هامة تنشر لاول مرة ...

والقليل النادر جدا من القصائد تعبر عن الشعر كقصائد الزبيري وسلام.

٣ ـ لم تصدر مجلة أدبية واحدة منذ أقفل « الامـام احمـد ـ الجزار » مجلة الاحرار « الحكمة » .. حتى الان وقـد يكون ذلـك لنقص في الكفاءة الطباعية ـ لكن على كل حال نقص في الكفاءات الادبية والفكرية .. وما عندنا هم خليط من شعراء الرومانسية وشعراء الامية الصغار الذين يبدأون العبث بمحاولة الهدم حبا في الهدم فحسب..!

٤ ـ لم يصدر كتاب واحد لا في الفلسفة ولا الفن ولا التربية ولم تعرف اليمن العربية شيئا من هذا القبيل .

٥ ـ الصحافة أيضا لا تزال متأخرة عن القطر المصري بما لا يقـل عن مائتي عام وعن القطر العراقي بما لا يقل عن مائة وخمسين عاما .

٦ ـ كذلك لم تعرف اليمن فنون الرسم ولا المسرح ولا الموسيقـى ولا شيئا من هذا كله ..

وقد تكون هذه رؤوسا لخطوط عامة لمأساة شعبنا العربي في اليمن الذي لا يختلف في حقيقته اثنان على وجه الارض بانه شعـب حرم من الحياة .. وليس من الادب أو الفكر .. فحسب .. ان هذا الافتـراء يشدنا الى الحديث عن أخلاقية الادب وما دامت الصحيفة قد افتتحت في صفحاتها ركنا للادب فلتراع هذه الاخلاقية ولتحترم نفسها.. واكثر صحف العالم ـ مهما كان لونها الحزبي ـ تحترم كلمتها المكتوبـة .. وتحترم قدسية الحق وشرف الكلمة ..

واذا كان البعض قد أساء فهم مقالي الصغير أو أحس بجرح في كرامته فاننا بحاجة الى الجروح في « الكرامات » لندرك عمق المأساة.. عمق الواقع .. العدم في الحياة .. الضياع .. فنحن نعيش عـلى هامش الواقع .. هامش الحياة .. ونحن لا نزال سكان « أهل الكهف » ومواطني « الواق الواق » .. مضحكة في هذا « العالم المنطلق الـى السماء .. وستزداد السخرية وتبلغ قمتها اذا لم ندرك أعماقنا .. اذا لم نعترف .. وليس العيب في أننا نبدأ حياتنا من الصفر ـ على حد تعبير الاخ محسن العيني ـ لكن العيب ألا نبدأ ـ .. كذلك ليس عيبا أن نبدأ في بناء حياتنا من أساسها .. بل العيب أن نتطلع الى أكـواخ البؤس على أنها « بارقات العلا » كما تطلع شعراؤنا الرومانسيون أمثال عبدالله البردوني والحضراني والشامي وكل من طلبوا للقصر وانـكروا حق الشعب .. ! فلندرك أن الاكواخ هي الاكواخ والبؤس هو البؤس .. والعدم هو العدم .. حتى نجد بديلا لكل هذه المشاكل .. حتى نطمح الى العمارات.. والشبع .. ونملأ حياتنا فكرا ونسهم في حياة العالم.. اما حينما ننكر أن البؤس هو البؤس فمعناه أن البؤس هو الشبع وبذلك نبقى على التعاسة والضياع فنحن اليوم احوج ما يكون الى مراعاة اخلاقية العربي المعروف « رعى الله انسانا عرف قدر نفسه » .. فليكن الشعار هو « رعى الله وطنا عرف قدر نفسه » .. والانسان الواقعي يهـدم ويبني .. اما انسان الزيف والتضليل فهو يهدم فحسب ..

اننا أحوج اليوم الى تقمص الاخلاقية العربية ومراعاتها على كـل المستويـات ..

كذلك في مجالات الادب نحن احوج ما يكون الى مراعاة اخلاقيـة الواقع ومحاولة البناء على أساس نفس الواقع مهما بلغت مرارته .. ولن تقاس قيمة الاديب أو الشاعر الا بمدى اسهامه في تغيير هذا الواقع ..

ومرة ثانية لا أنكر أن عندنا حفنة من شعـراء البـادية أو الذيـن يتوارثون الشعر عن امرىء القيس ويقلدون المتنبي ويتفلسفون عـلى طريقة المعري وينشدون الالهام بين الجنادل وفي صخور وشـلالات الجبل .. وبجوارهم أنين القلوب الجريحة الدامية ووجـوه الجيـاع والمراة من شعبنا العربي ..

فالادب الحقيقي هو الذي يعبر عن آلام الشعب .. وهو الصدى للثورة والنضال .. وهو باختصار التحام بالحياة .. ان القاهرة تصلح نموذجا يمكن تقديمه ولكن المجال لا يتسع ، لهذا لا نملك سوى أن نقول ان في القاهرة شبابا التصقوا بالشعب وعبروا عن آلامه وقفزوا بسرعـة وأصبحت أعمالهم الادبية على كل لسان .. ومن بين هؤلاء من لا زالـوا شبابا يقفون اليوم خصوما أقوياء يتحدون رجعية حثالـة الشيـوخ البالغين ..

ما قفز صلاح عبد الصبور الى الصفوف الاولى الا لانه أدرك آلام « زهران » ..

كذلك لم يسمح أحمد عبد المعطى حجازي لنفسه بأن يجلس عـلى المقاهي « متلطعا » ورفاق يخطون في اليمن أشرف معركة .. فأخذ يردد كجندي شجاع ..

« ما زال في من بريق الدم لون وشعاع ..
« ما زال في من بريق الدمم لون وشعاع ..
« فلتنفخوا أبواقكم في الشمس أيها الجنود ...
« لتنفخوا أبواقكم
« حيث تسيرون هناك الآن في الليل البعيد
ينقذني نشيدكم من الضياع »

فهكذا كان الاحساس العظيم هو الذي أحال الكلمـات الى سطور شعرية تنبض بالصدق والوفاء .. فالادب الحقيقي هو الادب المعبر الذي يقدر على النفاذ الى وجدان الشعب يلهمه ويعزيه واذا كان المجـال لا يتسع لفلسفة الادب الآن فربما يتسع لي أن أنفي عن نفسي صفة الجهل كما وصفتني به صحيفة الاممية فالمعروف بين مثقفي اليمن جميعـا أن رئيس تحرير الصحيفة المذكورة أرغم نفسه على خدمة البلاط الملكي وهو في عداد الاميين يوم اصدر صحيفة « سبأ » .. وهي نفسها التي تسمى اليوم « الثورة » بعد أن أصبح الذين يشاركون فيها مزيجا غريبا مـن الاميين والذين لا يعرفون بعد معنى الامة أو الوطن ..؟

مجال الكلام عن الادب اليمني هو مجال يمكن أن يقسم على النحـو التالي ..

أولا : الفترة الذهبية في حياة الادب اليمني .. أو تاريخ مجلـة « الحكمة اليمانية » وهي التي أسهمت الى حد كبير في الثورة الاولى عام ١٩٤٨ حتى أنها تسمى « ثورة المفكرين » لان أغلب محرريها قـد أعدموا (١) في هذه الفترة أنجبت الحكمة حفنة من شعراء العروبـة والوطنية من أمثال الموشكي الثائر والحضراني والشامـي واليـازل والشماصي وغيرهم .

ثانيا : الفترة الحالكة في تاريخ الادب .. عهد الجزار .. وفيـه تحول حفنة آخرون من الوطنية الى القصر .. وتخلوا عن الشعب بدافع من الانانية والانتهازية .. فالشامي انتهى الى التوبة والتفكير عن ماضيه السيء (٢) .. أما الحضراني فقد كان شاعرا كسبت منه الوطنيـة ثم تحول في عهد الامام الجزار الى شاعر ضمن شعراء القصر حتى أشيع في صنعاء في الآونة الاخيرة أنه هو الذي كتب للجزار أرجوزته المشهورة في سب الاشتراكية .. كذلك ظهر في هذه الفترة شعراء شطحـوا بخيالاتهم الى الشعب تارة والى القصر تارة أخرى غير أن أغلب قصائدهم كانت بعيدا عن الشعب .. بعيدا عن كل شيء .. ومن هؤلاء الاستاذ عبدالله البردوني كأبرز مثل لشعراء الشمال الذين أسرفوا في التحديق واستلهام جمال الطبيعة التي لم تكن يوما جميلة وسأضرب هنا صفحـا عن ذكر التاريخ السيء لفترة اشتغال الشاعر الكفيف في برنامج أدبـي كانت تقدمه اذاعة صنعاء خلال حكم الجزار .. وهي المعـلومات التـي أفضى بها الشاعر الاستاذ احمد المروني وزير الاوقـاف الحالي والاخ عبد العزيز المقالح وعديد من الشباب المثقف الذي عرف الاستاذ عبدالله البردوني .. فالتخلي عن الشعب في أشد أوقات المحن شيء آخر ..

وفي الجنوب ظهر خلال هذه الفترة شعراء من نوعية البردوني .. تخلوا عن الشعب على الرغم من أن شعبنا العربي في الجنوب اليمني يعاني محنة مزدوجة ابرزها الاحتلال الانجليزي ومؤامرات القصر الامامي مع الحاكم الانجليزي في عدن .. ومشاكل « التعدين » واضطهاد العمال من أبناء اليمن العربي .. فهذا كله لم يلهب لطفي جعفر أمان بقصيدة

---

(١) العدد السادس ـ الاداب ـ حزيران ـ السنة الحادية عشرة.
(٢) العدد الثاني ـ الاداب ـ شباط ـ السنة الحادية عشرة.

واحدة ولا تألم لصوت السوط يلسع جلود المناضلين الشرفاء .. بل عاش لنفسه يتغنى بنفسه في كل دواوينه الثلاثة .. ! ! .. أما النوع المغاير لهذه النوعية الانانية فقد ظهر وبرز اكثر من غيره .. وأصبحت قصائد ادريس حنبلة على أفواه الشعب سواء في الجنوب أو الشمال لا لانه عبر عن المحنة فحسب .. بل لانه التصق بها وشارك وأصبح من زعمائها . وقصائد ادريس هي التحام بالواقع الدامي الموجود حتى اليوم .. فيوم وضعت انجلترا مشروع التعدين في هذا الجزء الحبيب من الوطن الصغير كان ادريس يصبها حمما على المستعمرين ..

سموك باسم الغاصب المستعمر .. رغم الشعور ورغم كل تأثر
فتفتقت منا العقول وأضرمت .. فيها الحقيقة من قديم الاعصر

وبرغم الالفاظ التقليدية الا أن قصائد ادريس هي أحسن ما يقال في عدن حتى اليوم هذا برغم أنها لم تطبع في ديوان حتى الآن .. فهو يلتحم مع النضال .. يشارك جماهير العمال في عدن نضالها .. يشاركهم السجون والمعتقلات بالعمل والقصيدة .. ولم يطرق أحد مشكلة التعدين حتى اليوم .. وهي المشكلة التي تتضمن فتح باب الهجرة للهنود والمغامرين الاوروبيين وتقديم التسهيلات لهم واضطهاد أبناء اليمن وطردهم .. فهو يتأمل عدن اليمنية العربية فيصورها في بيت واحد تصويرا صادقا أمينا فيقول :

« عدن بها زمر الشعوب كأنها صندوق ألوان بهي المنظر

وظهر في الآونة الاخيرة من هذه الفترة ـ عهد الجزار « ٤٨ ـ ١٩٦٢ » شعراء بعضهم انحرف الى اليسار كابراهيم صادق وبعضهم حافظ على عروبته والتحم بها .. ومن بين شعراء اليسار من الشباب الناشيء عبده عثمان الذي أفردت له الصحيفة عمودا واسعا تسبغ عليه ما ليس له .. لا لشيء الا لانه شاعر يساري .. أو يتجه نحو اليسار.. فهي حين تتحدث عن البردوني أو الزبيري ـ أشعر شعراء اليمن ـ لا تستشهد لهم الا ببيت واحد لكل منهم ـ في مقالها المذكور ـ أما عبده عثمان ـ (والتركيز الشديد على المدارس التي تخرج منها كالمدرسة الواقعية النقدية التي تشبها للجواهري والبياتي) فهي تستشهد له بقصيدة ركيكة عن عمال مصنع بأجل يفضح فيها مسلكه واتجاهه .. وهكذا تسير الصحيفة في اتجاه أحمق مع أن الظروف الحزبية في اليمن لا تزال بحاجة الى الوقار والرزانة بل ولا تسمح الظروف بالمهاترات الحزبية من الان .. الا أن الشيوعيين المحليين قد بدأو في التباهي بأنهم « سيعوضون ما فقدوه في الكركوك والموصل » ..!!

عبده عثمان شاعر ناشيء يسير بخطى طيبة .. وقصائده من الناحية الموضوعية قصائد جميلة تعبر عن ألم للمأساة .. وأبرز قصائده هي تلك التي كتبها وهو يجول في شوارع عدن يصور بها الضياع والالم اذ يقول :

« ما كنت قديسا ولا مسيح
« بل واحدا كالآخرين
تثقله الانات والجروح
ونظرة تبكي وعين لا تبوح
وتمتمات ذلة وهمسة انكسار »

أما قصائده التي تعبر عن انزلاق الى هوة المطرقة والمنجل فهي التي تحتم علينا أن نشجب كل انحراف يسيء الى نضالنا العربي الدامي من أجل الوحدة والحرية والاشتراكية .. وثمة شباب أبدعوا وعبروا واستلهموا من واقع شعبنا قصائد أكثر جمالا وأكثر روعة من قصائد عبده عثمان أو رفاق من شعراء الانحراف . وأبرز شبابنا من الشعراء عبدالله سلام ناجي الذي أبدع في تصوير مأساة التمزق والغربة التي يعانيها اليمنيون في المهجر .. ولكن الصحيفة لم تسلك مسلكا موضوعيا في سرد الحقائق .. بل تعمدت من هجومها علي أن تركز على شعراء اليسار وتبرزهم على شعراء النضال العربي في اليمن .

صنعاء — محمد الزرقه

دار الكاتب العربي
للتأليف والترجمة والنشر
بيروت - بناية عمر الخيام - ص.ب ٣١٥٧
هاتف ٢٩١١١٨ - ٢٤٠٥٠٦ - ٢٤٠٥٠٧

١ ـ الفنون الادبية واعلامها
تأليف : انيس مقدسي

آخر ما انتجه الاستاذ البحاثة في ميدان دراساته الرحب مكرسا اياه للفنون الادبية من سائر وجوهها ، مع وقفة طويلة على سير اعلامها ، وتقييم آثارهم بكل ما عرف عن الاستاذ العلامة من روح موضوعية ، واداء علمي رفيع .

٢ ـ أبناء السندباد
تأليف : آلان فاليارس

قصة الرحلة التي قام بها الرحالة الاشهر آلان فاليارس على مركب شراعي عربي ، طاف به حول الجزيرة العربية والشاطىء الشرقي لافريقيا ، مسجلا ما وقع له من وقائع عجيبة واحداث غريبة ، واصفا كفاحهم ، داعما الحديث التاريخي بالبحث الجغرافي ، ببيان مشرق، حياة البحارة العرب في لهوهم وجدهم ، وعجيب صبرهم ، ومجيد وعبارة نابضة .

٣ ـ اشهر ملكات التاريخ
تأليف : ليديا فارمر

عرض واف لحياة طائفة من أشهر ملكات التاريخ في العالم، مع تسجيل لما قامت به أولئك الملكات من اعمال رفعتهن الى قمة المجد والسؤدد او انحدرت بهن الى هاوية الدمار والفساد .

٤ ـ ادباء السجون
تأليف : عبد العزيز الحلفي

كتاب فريد في نوعه وضعه اديب بحاثة جمع فيه نفثات ادباء السجون من الملوك والوزراء ، الى الصعاليك والفقراء ، من شتى الديار ومختلف العصور ، حتى كان هذا الكتاب أرهب زنزانة عرفها التاريخ .

٥ ـ المعتمد بن عباد
تأليف : نديم مرعشلي

كتاب يجمع سيرة الملك الشاعر وفنونه من خلال حياته العجيبة الزاخرة بالمتناقضات تضم نرف القصر الى ذل الاسر ، تتوجه صفحة ادب مقارن بحياة وفن الامير الشاعر ابي فراس الحمداني .

٦ ـ شهيرات النساء في العالم الاسلامي
تأليف قدرية حسين

كتاب كل ام ومربية ، وكل راغب لابنته واخته السيرة الفضلى، والقدوة المثلى ، واكتناه صميمي لاسرار حياة مشاهير الرجال ، ووقوف واقعي في كواليس الاحداث الهامة من مسرح التاريخ.